سرد القسوة والصمت في الخطاب التاريخي
إعادة قراءة في فكر "كنعان مكية"

أ.م.د. رنا فرمان محمد

جامعة القادسية-كلية الآداب

rana.mohammed@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٥/١٢/١٥

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٥/١٠/٢٢

ملخص

تهدف الدراسة إلى تقديم قراءة في كتاب "القسوة والصمت –الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي" للمفكر والكاتب العراقي "كنعان مكية"، وتتبع التحويل الصيغي للمرويات الشفاهية على مستوى التوثيق، إلى سرد تاريخي لما يعد تاريخا للقسوة في المدونة الحديثة من تاريخ العراق متمثلة بحكم نظام البعث، سرد القسوة الذي شمل حكايات عدد من الضحايا ممن تعرض للتعذيب فضلا عن الإبادات الجماعية التي ارتكبها النظام بحق الشعب العراقي، ورصد الموقف الدولي العربي والعالمي من ذلك، الذي شخصه مكية بالصمت الجماعي مما تطلب منه قراءة معمقة لطبيعة العقل العربي، والثقافة العربية ونخبها.

الكلمات المفتاحية: سرد القسوة، نظام البعث، إدوارد سعيد، صمت النخب الثقافية

Narrating cruelty and silence in historical discourse - a rereading of Canaan Makiya's thought

Dr. Rana Frman Mohammed
College of Arts University of AL-Qadisiya
rana.mohammed@qu.edu.iq

Date received: 15/12/2025
Acceptance date: 22/12/2025

Abstract:

The study aims to provide a reading of the book "Cruelty and Silence - War, Tyranny, and Uprising in the Arab World" by the Iraqi thinker and writer, "Kanaan Makiya," and to trace the formal transformation of oral narrations at the level of documentation To a historical narration of what is considered a history of cruelty in the modern history of Iraq represented by the rule of the Baath regime, a narration of cruelty that included the stories of a number of victims who were subjected to torture as well as the genocides committed by the regime against the Iraqi people, and monitoring the international, Arab and international position on that, which Makiya characterized as collective silence, which required in-depth reading from him An in-depth reading of the nature of the Arab mind, Arab culture and its elites.

key words: Narrative of cruelty, Baath rule, Edward Said, The silence of the cultural elites

مقدمة

يقتفي البحث خطوات "كنعان مكية"/ السارد لأحداث القسوة في التاريخ العراقي الحديث، بعد أن قرأ آخر تأملات "بريمو ليفي" قبيل انتحاره، عن خيبة ضحايا القسوة وانكسارهم قائلاً: إن معظم الذين نجوا يذكرون حلماً كان يراودهم طوال ليالي احتجازهم؛ عندما يعودون إلى بيوتهم كيف سيروون لاحبائهم مرارة عذاباتهم الماضية.. بينما الواقع؛ لن ينصت لهم أحداً، والأكثر قسوة من ذلك، ان المستمع سيستدير ويغادر بصمت!.. اللحظة التي قرر "كنعان مكية" فيها أن يقف بكامل قيافته الثقافية وعدّته النقدية منصتاً للضحايا، بوصفه ساردا، أخذ على عاتقه جمع مرويات متناثرة ومن ثمَّ تقديمها سردا تاريخيا عن القسوة، فتحولت من حكايات مقصيّة متفرقة إلى حقيقة واضحة تقتضي موقفا أخلاقيا وسياسيا لمعالجة الواقع، فهو يركز على حتمية تحويل ضحايا من لحم ودم –بالكتابة– إلى نماذج عربية بطراز جديد، ومن بين هذه السطور تتحدد أسئلة البحث عن تسريد الوقائع التاريخية، وإعادة انتاجها على وفق قراءة في كتاب "**القسوة والصمت– الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي" لـ "كنعان مكية**"، الصادر عن منشورات الجمل في ألمانيا بالاتفاق مع دار الساقي في لندن، التي تحتفظ بحقوق نشره باللغة العربية منذ عام ١٩٩٤، ويحتوي الكتاب على مقدمة مهمة تشغل سبع عشرة صفحة، سنقف عند مفرداتها تباعاً.. وهذه الدراسة لا تقتصر على تقديم معرفة بمفهوم "القسوة" الذي قدمه "كنعان مكية" إلى المدونة التاريخية العراقية الحديثة فحسب، ولكنها جزء مما يحتمه واجبنا الأخلاقي تجاه "كنعان مكية" لما قدمه من موقف إنساني تجاه الشعب العراقي في خضم أزمته، ففي لحظة إدراك مباغتة أخذ ذلك الشاب "العراقي نصف البريطاني" على عاتقه معاناة شعب كامل منذ بدايات العقد الثامن من القرن الماضي، متخذا قرار تحويلها ملفّا على طاولة الرأي العام العالمي ودول القرار، فانشغل بتوجيه الأنظار صوب معاناة لم يبال بها أحد، متحديا مهاجميه من المثقفين العرب، فضلا عن ظروفه الخاصة مع عائلته التي عارضت توجهه ومساعيه في البداية، بسبب المخاطر التي قد يواجهها والده المعمار المعروف "محمد مكية"، فنحن أمام جهد فكري وسياسي وثقافي هائل؛ علينا أن نقف عنده تزوّدا وعرفاناً، ونعرّف الأجيال القادمة به.

التمهيد
سرد الوقائع

تحتوي المدونة الثقافية على كتابات جديرة بالاهتمام والدرس على المستوى السردي الذي لا يقتصر على النص الإبداعي فحسب ولكنه يشمل كل نص يقدم سردا لمفاهيم تاريخية أو اجتماعية أو سياسية تعالج قضايا الإنسانية، إذ ان قوة السرد في قيمته المعرفية التي تنظم الكون والفوضى في أذهاننا، ومن مفارقات الثقافة العربية والعراقية بما تتضمنه من مؤسسات أكاديمية؛ غَفْلَتها –عمدا أم سهوا– عن طرح ثقافي مهم في بناء الوعي الاجتماعي والسياسي على حدٍّ سواء، في مقابل الاحتفاء بطروحات "إدوارد سعيد" على سبيل المثال بوصفه سعى يوماً للتقليل من قيمة ما قدمه "كنعان" مكية من جهود ثقافية مهمة، وما أريد الإشارة له؛ ضرورة مراجعة عزوف الأوساط الثقافية والأكاديمية عمَّا قدمه الكاتب والمحلل "كنعان مكية" عامة، وكتابه "**القسوة والصمت**" تحديداً من تمثيل سردي لمفهوم "القسوة" خلال حقبة نظام البعث في العراق، وتشخيص بَيّنٍ للخلل الكبير في طبيعة العقلية العربية وخطابها الآيديولوجي ومن ثمَّ طريقة رؤيتها للأحداث والشخصيات، **عندما حاول "كنعان مكية" الكشف عن الأسباب وراء صمت النخب العربية والشعوب عامة عن ممارسات نظام البعث في العراق قبل وبعد حدث احتلال الكويت، معللاً ذلك بانحراف المنهج ومن ثمَّ منطق التفكير العربي**"[١]، وهنا يمكن تحديد المفارقة بين "كنعان مكية" وبين مهاجميه أي بين المنهج الواقعي في رؤية الوقائع على وفق معطياتها، وبين منهج التفكير الآيديولوجي الشاهق الذي يجوس حول فكرة "المؤامرة الغربية" ونموذج "الرمز الثوري"، مما أدى إلى "**الصمت الجماعي إزاء القسوة**" بوصفه موقفاً "**تابعاً من التفكير وفق منطق معين لسنوات؛ وهو أسطورة صدام حسين بوصفه مخلِّصاً، وان الأزمة والحرب هما نتيجة العنصرية والإمبريالية الغربية**"[٢] منطق التفكير القاصر بتأثير المنهج الآيديولوجي الذي حال دون قراءة الواقع بموضوعية ومن ثمَّ إدراك "القسوة" على حقيقتها، من دون استساغتها أو تسويغها!. وقبل ذلك حدّد مكية مفهوم "القسوة" المقصود، مفرّقاً بينها وبين "العنف"، في إمكان تبرير الأخير على وفق أهدافه مثل الدفاع عن النفس أو تحققه بين ندّين، لكن لا يمكن البتة تبرير القسوة، **لأنها قائمة على تقصُّد إلحاق الأذى الجسدي بأفراد هم في موقع الضعف**"[٣] مستثنياً من ذلك القسوة السيكولوجية والاجتماعية، وما له علاقة بالجينات و"الأسباب ما قبل التاريخية" رداً على من يعدّ موقفه تماه مع الخطاب الغربي ضد العرب مثل "إدوارد سعيد" وغيره كثر، فقد نأى "كنعان مكية" تماماً في منهجه وموقفه عن تلك التصنيفات النظرية الجاهزة، الراسخة في ذهن المثقف العربي، فهو يقصد القسوة

التي يكون سببها سياسياً، وتأثيرها عالمياً، ومجرد حدوثها "إهانة لإنسانية الجميع، وهذا ما يجعلها تخترق الحساسيات والحدود الوطنية والدينية"[٤] ولم تكن القسوة وحدها من دفعت "كنعان مكية" إلى بداية مشروعه في تحرير العراق من نظام البعث، ولكن الصمت أيضاً، الذي يقصد به الموقف الدولي العربي والاجتماعي والثقافي العام، فإذا "كانت القسوة مسألة خاصة وشخصية، فإن الصمت مسألة اجتماعية"[٥]ويمكن أن يكون من دون وعي بالتزامه، ففي مقابل أعمال العنف والتعذيب والتصفية والإبادات والتهجير التي كانت تحدث في العراق "كان المثقفون العرب يلزمون الصمت"[٦] بوصفه "سياسة" اتخذت –خلال حرب الخليج– أسطورة "صدام حسين" رمزا مخلصاً ونموذجا للعروبة، فيما عزوا تدهور الأوضاع في المنطقة وأزمة الحرب إلى التآمر الإمبريالي على العرب؛ وهم في ذلك حولوا "التاريخ" إلى حالة ذهنية سياسية فاسدة كلياً، تتعارض مع وضع العرب الحقيقي، وعلى الرغم من إدراك كثير منهم الخلل الحاصل في العالم العربي إلا انهم قرروا التزام الصمت، وبذلك صار هذا النوع من المثقف جزءا من المشكلة بدلا من الساعي إلى حلِّها، فيؤكد مكية على ضرورة ان يكون موقف المثقف خلاف ذلك كلياً، ففي لحظة الأزمات الأخلاقية يتحول الصمت إلى موافقة، والتخلي عن المسؤولية الفكرية أمر خطير بين المثقفين[٧] لا بد من كشفه وتجنب التزامه، وفي مقابل ذلك أراد مكية أن يعيد صياغة مفهوم "القسوة" بوصفها سردا تاريخيا لابد من أن يأخذ مكانه في المدونة التاريخية، ثم ينتقل منه بعد ذلك نحو سرد "الصمت" عن طريق تحديد مواطن الضعف؛ بداية من الثقافة العربية، مرورا بالخطاب الأدبي مؤثرا، ثم طريقة التفكير وموقف المثقف، وهي عملية سردنة للأحداث التاريخية المتفرقة زمانا ومكانا من ثمَّ تقديمها ضمن قالب جديد من مرويات متتابعة، تشترك في "طبيعة الشخصية" ممثلة بضحايا القسوة، ومصطلح "التسريد" يستعمل بمعنى "إضفاء صبغة سردية على نمط من الخطاب ليس في الأصل كذلك، ومنه الخطاب المسرد أو المروي، وهو الذي تتحول فيه أقوال الشخصية إلى حدث أو عمل يعرضه الراوي"[٨] الدور الذي قام به "كنعان مكية" نقلا للمروي من صيغة إلى أخرى، إذ أدرج "جيرار جينيت" التسريد "في ضرب من النقل الشكلي الخالص سماه تحويرا صيغياً Transmodalisation ويعني تبديل صيغة نص أصلي بأخرى في نص لاحق"[٩] والتحويل هنا من صيغة المروي الشفاهي لتجربة فردية، إلى صيغة سردية شاملة لمفهوم "القسوة" تتألف من مجموعة تجارب جمعها مكية بمشقّة بالغة بأسلوب وثائقي منظم، ثم دونها سردا استدعى بالضرورة قراءة للسياق الثقافي والاجتماعي والسياسي معاً.

المبحث الأول

القسوة وقائع دموية وشهود

اتبع "كنعان مكية" في كتاب "القسوة والصمت" منهجا أركيولوجيا في قراءة الوقائع، إذ يتألف الفصل الأول –الذي يشغل أكثر من نصف الكتاب– من مرويات المهمش من عامة الناس، من أطياف الشعب العراقي المختلفة بوصفها رموزا تمثيلية عن المجتمع إبان حقبة نظام البعث، وشهادات حية على تاريخ القسوة، بعد أن عدل عن فكرة تأليف الكتاب الأولى؛ وهي وضع تاريخ شفوي لانتفاضة العراقيين عام ١٩٩١ –بعدّها تمرين اختباري لعراق المستقبل، ومقابلا لسجل تأييد "صدام حسين" من المثقفين العرب والراي العام خلال أزمة الخليج– لعدم رجاحة المصادر، فضلا عن المآخذ التي سجّلها على الانتفاضة نفسها بعد أن تحولت صفحة مضافة إلى تاريخ القسوة ومرآة للطغيان؛ عندما رافق مواقف التضحية والشجاعة؛ قتل، وغدر، وخيانة، وانتقام، ونهب، وانتهاك مقدسات، لكن المهم بحسب مكية أنها كشفت للعالم أن العراق أحد أكثر البلدان انغلاقاً، والأهم من ذلك؛ ان ضحايا القسوة بدأوا يتكلمون.. لذلك يعد مكية القسم الأول من الكتاب؛ رحلة إلى داخل تلك القسوة، مروية بكلمات الأشخاص الذين عاشوا تجربتها، أما دوري فكان تحويل كلمات أبطال هذا الكتاب: خليل، وأبو حيدر، وعمر، ومصطفى، وتيمور، إلى قصص وأخبار عن الأمور غير المعقولة التي في استطاعة الكائنات البشرية أن تفعلها بعضها ببعض[١٠] فشغلت "الباب الأول" الموسوم بـ"القسوة"، بدأها من أحداث الكويت، ثم البصرة حيث الشرارة الأولى لانتفاضة الشيعة، مرورا ببغداد وحكاية "عمر"، صعودا إلى الجبال حيث عمليات إبادة الأكراد، سلسلة من الجريمة المنظمة اتُبعت سياسة حكم في العراق.

الحبكة الوثائقية

يبدأ مكية سرد القسوة بحكاية "خليل" الشاب الكويتي؛ نهم القراءة باللغتين العربية والانكليزية، حاد الملاحظة، ومنفتح على العالم الخارجي انفتاحا يصعب إيجاد مثيله بين مثقفي المشرق هذه الأيام، عاد إلى الكويت في أثناء احتلالها، فحصد نصيبه من الألم والمعاناة بعد أن أصبح شاهد عيان على مظاهر الوحشية والخراب الفكري والأخلاقي، أدرج مكية حكايته ضمن عنوان "الأهمية التي للاسم" –إذ لم يكن "خليل" اسمه الحقيقي ولكن تماهيا مع "سمير خليل" الاسم المستعار لتأليف كتاب "جمهورية الخوف"– مضمنة مقاطع من

الكلام الموثق للشاب "خليل" من لقائه بـ"كنعان مكية"، فضلا عن عتبة استهلالية ممثلة بجملة **"ليت أمي لم تلدني لأرى عذاب هذا الزمان"** موقعة باسم "ابي حيدر" وجدها خليل مكتوبة على جدار بيته بعد انسحاب الجيش العراقي من الكويت في شباط ١٩٩١، وقد اتخذ "كنعان مكية" من هذه العبارة قرينة استمد منها طبيعة شخصية أبي حيدر/ الجندي العراقي، ومن مشاهدات "خليل" للمكان/ الكويت بين زمن دخول الجيش ثم انسحابه وسيلة لتحبيك الأحداث والقصص ومن ثمَّ التحليل، بوصفها عملية تسريد لا تخلو من فاعلية التخييل تركيزا على "حالات وتحولات الحدث في الخطاب عن طريق ترابطه المنطقي والسببي"[١١] ومن أهم مشاهدات خليل لحظة دخوله بيتهم عندما وجده منهوبا بطريقة مروعة، وجد كتابة أخرى على صورة احدى شقيقاته: **"أيتها الأخت الكويتية العزيزة أرجو أن تسامحينا على ما فعلناه"**[١٢].

لم تقتصر مشاهدات "خليل" على آثار الوحشية التي رآها في بيته بعد أن تحول إلى مرحاض كبير يقضي الجنود فيه حاجتهم قرب ولائم طعامهم في الغرف أو صالة الجلوس، ولكنه شاهد بانوراما "الإبادة" على مقربة من "تلة المطلاع" مسافة ما يقارب العشرين ميلاً عن العاصمة الكويتية قرب بلدة "الجهراء"؛ طريق انسحاب الجيش العراقي إلى البصرة بعد أن قام "المارينز" من الفصيلة الثانية المدرعة في لواء النمر المعروفين باسم "كلاب الجحيم" بمهاجمة طابور الجيش العراقي المنسحب في مشهد مفزع!.. وصفه مراسل مختص ملحق بلواء النمر قائلا: كان مشهدا غريبا، أشبه بحفلة صيد عملاقة، اقتيد العراقيون أمامنا مثل الحيوانات.. بدا الأمر بنا مثل مشاهدين وسط سباق تدمير[١٣]، فالكل يدمّر كي ينجو! إذ ان "جنود مثل أبي حيدر هربوا من الكويت عبر الطريق الرئيسة إلى البصرة –الذي سمي لاحقا بـ "طريق الموت"– بعض الجنود ممن حاولوا الاحتماء إلى جانب الطريق؛ دخلوا حقول الألغام خاصّتهم!.. وفي ردة فعل يائسة أطلق بعض العراقيين نيرانهم على جنود من رفاقهم كانوا يصدّون طريقهم!... وأحد الرجال بينما كان يحاول الفرار في شاحنة من طراز كاوازاكي انتهى بنصف جسم فقط مقلوبا رأسا على عقب ومعلقا خارج مقعده المكشوف، كان جانبه الأيسر والسفلي أيضا ممزقين أشلاء، ورجله المتفحمة مرمية على بعد ١٥ قدماً، وفي مشهد آخر؛ تسعة رجال داخل شاحنة كبيرة للحمولة احترقوا بلحظة خاطفة، وأصبحوا بقايا عارية مسلوخة متفحمة في الأوضاع ذاتها التي كانوا عليها لحظة الصدمة الأولى!.. أحد الجنود وجهه منحنٍ للأسفل ومؤخرته مرتفعة في الهواء... كانت ساقاه أصبحتا بقايا متفحمة ومرتعشة عند وسط الفخذ ... وآخر فجرته قنبلة فكانت فجوة جسمه كبيرة مفتوحة وأحشاؤه لا تزال معلقة

في مكانها! غير انها كانت مشوية سوداء... وعندما زار الصحفي "روبرت فيسك" المكان بعد أيام عدة شاهد كلابا متوحشة تقضم بقايا الجنود العراقيين[١٤]... هذا ما كانوا عليه؛ أخوتنا، وجيراننا، ومعارفنا، تحولوا وجبات مطبوخة للكلاب بينما كنا ننتظر عودتهم.. نلحظ في عملية التحبيك تصاعد وتيرة سرد الصدمة بداية من مشاهدات خليل/ الكويتي متأملاً دياره، حتى يصل ذروته في حدث إبادة الجنود وتمظهراته.

يتخذ سرد القسوة بينما تتجاوز حدود الخيال، طابعه الإشكالي من تحول الضحية قاتلا في اللحظة، بما يشبه العدوى الفايروسية؛ سواء ما حدث بين الجنود العراقيين أنفسهم عندما قتلوا رفاقهم، أم عندما انتقلت إلى الكويتيين في موقفهم من العراقيين وهو أمر لا يمكن إنكاره عليهم إذ لم تلتئم جراح الجريمة بعد مما لم يتح فسحة للغفران، فأحد الكويتيين ممن توجهوا لمشاهدة ما حدث في "المطلاع" شعر بسعادة غامرة أمام المشهد وعبر عن شعور كان شائعا بين الكويتيين آنذاك "أنا مسرور لمشاهدة هذا الموت والدمار لأنهم فعلوا أكثر من هذا بنا"[١٥] فتتشكل بنية السرد الدائري –عندما تتبدل الأدوار– على مستوى الشكل والدلالة ومن ثم المعنى العام.

حرص مكية في حبكة السرد على ترابط الأحداث فانتقل من حكاية "خليل" في الكويت إلى حكاية "أبي حيدر" في البصرة تركيزا على لحظة بداية الحدث/ الانتفاضة، بعد حدث/ الإبادة، و"أبو حيدر" شخصية متخيلة –استمد مكية طبيعة تشكيلها من الكتابات التي وجدها "خليل" في بيته– بوصفها: **تمثيلا تشخيصيا لأفراد الجيش** الذين دمروا البيوت ونهبوها وهم على دراية ببشاعة أفعالهم، "تلك المعرفة، تحولت إلى القوة التي كانت وراء الانتفاضة ضد صدام حسين داخل العراق، التي بدأت بالضبط في اليوم التالي لاسترجاع خليل منزله، فالشرارة التي اشعلت فتيل الانتفاضة اشعلها جنود مثل أبي حيدر"[١٦] كانوا على يقين بوحشية أفعالهم، **وتمثيلاً لأحوالهم عند الانسحاب**، الذي تعرض فيه الجيش للإبادة المروّعة عن طريق اختبار نوع من السلاح الذي يولد حرارة تذيب كل شيء استُخدِم ضد الجنود العراقيين على طول طريق المطلاع، الإبادة التي أصبحت بعد ذلك دافعا آخر لاتقاد شرارة الانتفاضة في أذهانهم واشتعالها في البصرة لحظة وصول الناجين فرارا من جحيم القصف، فتحدث مكية عما حدث في المدن العراقية أبان الانتفاضة بداية من البصرة صعودا، من خلال الوثائق التي جمعها من الشهود وكانت مدة زمنية دامية سواء في أعمال العنف والانتقام الجماعي من أتباع النظام الحاكم، أم أعمال قمعها بعد دخول الجيش لمدن الوسط والجنوب وتجريفها مثل ما حدث في النجف، وعن دور "آية الله الخوئي" في محاولة تهدئة الأوضاع، قبل إرسل الحكومة العراقية قوات خاصة لمعالجة الوضع في

مناطق الجنوب، قوات شرسة بالغة البأس اختيروا من أبناء الطائفة السنّية استنادا على الخطاب الطائفي المُغذّى منذ ذلك الوقت، فأزالوا أحياء كاملة في النجف شملت المدافن أزالوا كل شيء محوا المكان كلياً، كانت الكلاب تأكل جثث الناس في الشوارع[١٧] بعد أن اقتحمت فرق من الحرس الجمهوري مدعومة بوحدات من المدفعية والدبابات مدينة النجف من ثلاثة محاور صباح يوم الأربعاء ٢٠ آذار ١٩٩١ كان قد خطَّ على الدبابات **"لا شيعة بعد اليوم"**.. دائما هناك شعارات.. ذلك أسلوب نظام البعث عند ارتكاب المجازر.

التعذيب وظيفة سياسية قانونية

يظهر سرد القسوة متجاوزا التصنيفات والهويات والحدود بأشكالها المختلفة عندما ينتقل مكية/ السارد إلى تجربة "عمر" مع الاعتقال والتعذيب، عن طريق نقل صيغة المروي الشفاهي بعد لقائه مع "عمر" إلى السرد الحكائي بصيغة المتكلم تركيزا على ما يسمى بـ"أفق التجربة" أي الماضي؛ إذ لابد أن يكتسب السرد صياغة تصويرية معينة تنقل تتابع الأحداث إلى نظام زمني فعلي[١٨]، يقول مكية لقد حوّرت بموافقة "عمر" ما جرى في ساعات الحوارات والتذكارات تلك، وساعات غيرها في جلسات لاحقة، إلى صيغة أنا المتكلم، فالأسماء والتواريخ والأعداد جرى تبديلها من أجل حماية المتورطين كلهم من الشرطي إلى السجان والمعذِّب والمستجوِب والمخبر[١٩] وتكشف تجربة "عمر" عن طبيعة القسوة حينما تتحول خطاب سلطة/"قانون" لحفظ أمن البلاد، عن طريق "الجسد"، أي عندما يتخذ التعذيب وظيفة سياسية قانونية، بوصفه احتفالا من أجل إقرار السيادة بعد جرحها لحظة[٢٠] و"عمر" شاب في مطلع الثلاثينيات مهندس مدني سنّي من الأعظمية وشى به صديق بعد جلسة سمر بين الأصدقاء لم تخل من نقاشات عابرة عن أوضاع البلاد وحكومتها، و"في العراق يمكن للكلمات أن تقتل"[٢١] اعتقل عام ١٩٨٧ ثم احتجز داخل مبنى تابع لجهاز الاستخبارات العسكرية لمدة ٤٢ يوما؛ كانت كفيلة بأن تغيّر حياته إلى الأبد، وثمة آلاف القصص المماثلة لقصة عمر عانى فيها العراقيون، إبان الثمانينيات، ما عاناه عمر، ليس بالضرورة أن يكون أبطال القصص هؤلاء قد فعلوا شيئا، وليس مهما السؤال من كان هؤلاء وماذا كانوا[٢٢] لأن القسوة لا تسأل عن الهوية.

سرد الإبادة

ينتقل مكية في تتابع أحداث القسوة إلى وقائع الإبادة والتجريف التي ارتكبها نظام البعث بحق الأكراد، فشرع بالعودة إلى مرجعيات الإبادة من خلال البحث في تسميتها بـ"الأنفال" بوصفها حافزا لارتكابها، فضلا عما ورد في وثائق الاستخبارات السرية التي تحصل عليها مكية من "البيشمرغا" من إشارات تعريفية للإبادة من أجل تنظيمها وترسيخها في الذهن الجمعي –الأسلوب الذي اعتاده نظام البعث لتسويغ الجريمة أو الاعتداء– مثل "عمليات الأنفال البطولية"! أو"عمليات الأنفال الأولى"، والثانية، والثالثة، فالتسمية مستمدة من "سورة الأنفال" التي وردت في القرآن عن واقعة "بدر" وعُدَّت تعزيزا للدين بتأييد من الله، وكلمة "الأنفال" بمعنى "الغنائم" و"النَّفَلُ بالتحريك: الغنيمةُ والهبة"[٢٣]، ذلك إلى جانب ما تقوم عليه الأدبيات التأسيسية لحزب البعث من ان ثورة الحزب استعادة معاصرة للثورة الإسلامية وبرهان "ميشيل عفلق" على صدق الفرضية هو نزول القرآن بالعربية، مما يحتم حماية كيان العروبة ورموزها من أي متآمر غير عربي، ومن ثمَّ فإن التصدي لهم وعمليات ابادتهم واجب وغنيمة! لذلك أطلقت تسمية "الأنفال" عام ١٩٨٩ على أكبر حقول الغاز في السليمانية حقل "كورمور" حالياً، وكانت وسائل حملة "الأنفال" الأساسية؛ دكّ القرى، والقصف بالغازات السامة، وفرق الإعدام والقبور الجماعية، ولم يكن بالمستطاع تحديد رقم دقيق لعدد الأكراد الذين قتلوا إبانها، لكن الأدلة الصادرة من أعلى المستويات في النظام بالذات تشير إلى ان الرقم لا يقل عن مئة ألف قتيل، بينما يقدر الزعماء الأكراد الرقم بأكثر من ١٨٠ ألفاً[٢٤] وقد جمع مكية وثائق كثيرة ومهمة بشأن إدانة النظام تحدث عنها خلال سرده حكاية أحد الضحايا وهو "عبدالله عبد القادر العسكري" الذي يعيش في مدينة "السليمانية" مع من تبقى من أسرته؛ والده وابن عمه "مصطفى العسكري" بعد أن قضى أفراد عائلتهما جميعا بقصف السلاح الكيميائي في مشهد يذهل النفوس، وقد سافر مكية إلى كردستان العراق من أجل اللقاء بهما وتوثيق الحدث بوصفهما شاهدا عيان على تلك اللحظة التي يرويها "عبدالله"، مساء ٣ أيار ١٩٨٨ في قرية "غبطابة" عندما حلقت طائرتا استكشاف فوق المنطقة، ثم قامتا برمي قنابل ضوئية لتحديد اتجاه الريح، بعد ذلك جاءت مجموعة أخرى من الطائرات، قدّرنا أن عددها ثماني عشرة كانت مقسمة ثلاث مجموعات توجهت أحداها نحو قريتنا غبطابة، والثانية نحو قرية عسكر المجاورة، أما القسم الثالث منها فتوجه نحو منطقة كان يقيم فيها البيشمرغا، حصة غبطابة كانت ثماني طائرات، حلقت فوق القرية مرتين، ثم عادت في المرة الثالثة لترمي قنابلها ... تابعنا الصعود إلى أعلى نقطة ممكنة... من هناك صرخت إلى الأسفل محذرا سكان القرية: هذا هجوم كيمياوي حاولوا ان تهربوا اصعدوا إلى التلة... وعلى الرغم من ذلك انطلقنا على الفور في الاتجاه المؤدي إلى منزلي: صهري، وديار، وفايق، وأنا...

لم يكن هناك أحد، فأصبت فعليا بالذعر، مقتنعا أن أحدا لم ينجُ... توجهت إلى نهر قريب صغير وجدت أمي منكفئة، قد سقطت قرب النهر وكان فمها منزرعا في ضفته الموحلة، ركضوا أفراد عائلتي كلهم باتجاه النهر، لأني أخبرتهم سابقاً ان الماء مفيد للوقاية من الأسلحة الكيميائية وأبّان الوقت الذي أدركوا فيه النهر كان عدد كبير منهم فقد وعيه وسقط في الماء، غرقوا معظمهم... وجدت جثة ابنتي البالغة من العمر تسع سنوات معانقة ابن عمها... وجدت أيضا جثة إحدى بنات أخي كانت مع والدها... رأيت عشرات الأشخاص من عائلتي كان من بينهم أولادي وأشقائي وأبناء أشقائي وبناتهم ... لم أعرف على من أبكي! ولم أعرف إلى من أتوجه أولا! كنت وحيدا في الليل![٢٥].. هكذا حكم نظام البعث العراق، على مرأى ومسمع من الجميع، فالكل يعلم بانتهاكاته الكبرى بحق الشعب العراقي بأطيافه المتنوعة ولكن من دون مبالاة، لذلك قرر مكية أن ينسج القسوة سردا، من الأصوات غير المسموعة هذه، ويضعها على عتبة التاريخ، فاختتم سرده بحكاية "تيمور" صبي في الثالثة عشرة من العمر من قرية "كالاتشو"، قطع مكية من أجل مقابلته ثلاثة آلاف ميل لأنه الطفل الذي خرج من قبر جماعي! بمفارقة تحبس الأنفاس، بوصفه المخلوق البشري الوحيد الذي عاش مباشرة حملة الأنفال في أبشع أحداثها وبقي حياً، ليسرد الحكاية، حيث جرى لقاؤه بـ "كنعان مكية" في ثكنة عسكرية مهجورة، كان تيمور هادئا جدا منغلقا على نفسه طول الوقت، فالطفل الذي وجد نفسه في عالم كابوسي وحشي لن يكون كأقرانه بالضرورة، تبدأ حكايته بعد اقتياد سكان قريته جميعا وقرى مجاورة لاحتجازهم في حصن "كوراتو" ومنه نقلوهم في شاحنات عسكرية إلى سجن "توزاوه" في "كركوك" من دون أن يعلموا سبب ما يحدث لهم، ربما يكون الحوار –كما دار بينهما– الذي اختاره مكية أسلوبا في سرد الحكاية أكثر قدرة على كشف المعاناة التي عاشها تيمور، وهذه مختارات منه: – هل أخذت مالاً؟ – لا لم يكن معنا أي مال. –هل استولى الجيش على المال؟ – نعم. – هل كنت قد سمعت كلمة "أنفال" بينما كنتم تنقلون في الأرجاء من مكان لآخر؟ – لا. – هل كنت خائفاً؟ – نعم. – هل رأيت الخوف في وجه والدتك وأخواتك، هل كانوا يبكون؟ –نعم. – ماذا تذكر عن الآخرين الذين كانوا معكم؟ هل تتذكر ماذا كان الناس يقولون؟ – كانوا لا يقولون شيئا، كان هناك نساء وأطفال يبكون. – ماذا فكرت أنهم سيفعلون بوالدك؟ – كنا نعرف انهم سيقتلونه.

بعد ان فصلوا الرجال وأخذوهم للإعدام، توجهوا بالنساء والأطفال إلى حدود السعودية.. وبعد مسيرة يوم كامل من دون توقف وصلوا ليلا: – اين تناولتم طعام الغداء؟ – لم نتناول أي غداء.. ولكن الحرارة كانت شديدة

كان ثمة أناس يموتون من العطش، لم يقدموا لنا ماء في الطريق. – هل مات أشخاص داخل الشاحنة؟ – مات ثلاثة أطفال. – الآن وصلتم إلى مكان الإعدام، ماذا حدث بعدئذ؟ –تمكنت من إزاحة عصبتي، واستطعت أن أرى هذه الحفرة وكان يحيط بها الجنود. – هل دفعوكم مباشرة من الشاحنة إلى داخل الحفر؟ –نعم. – كم عدد الأشخاص وُضِعَ في داخلها؟ – كانت هناك حفرة لكل شاحنة. – وكم كان عدد الأشخاص في الشاحنة؟ – قرابة المئة شخص؟ – كم كان عدد الرجال المحيطين بالمقبرة؟ – كانوا يحيطونها من كل الجهات، ولكن من أطلق النار جنديان فقط. – هل احتج أحدكم؟ هل صرخ أحد أو حاول الفرار؟ أو القيام بأي شيء ضد الجنود؟ – لا، كنا انطلقنا باكرا في الصباح، وعندما وصلنا كان الوقت ليلا، كان الشيء الوحيد الذي يرغب به الناس هو الخروج من الشاحنة... –هل كنت فقط تريد الموت والانتهاء من الأمر؟ – نعم[٢٦].

حالة انعدام الحس التي استحوذت على الجميع تُذكّر بما ورد في روايات محرقة اليهود وردة فعلهم وهم يساقون إلى غرف الغاز، الاستسلام الكلي للموت.. ومن غرائب الموقف! عندما أُطلِق الرصاص عليهم من اتجاهين أصيب "تيمور" بكتفه لكنه ركض متسلقا الحفرة من جهتها المنحنية صوب القاتل وأمسك بيده مستجيرا!.. – هل نظرت إلى وجه الجندي؟ – نعم. – هل رأيت عينيه؟ – نعم. – ماذا رأيت؟ ماذا استطعت أن تقرأ في عينيه، في تعابير وجهه؟ – كان على وشك البكاء.. ولكن الآخر صرخ به وأمره أن يرميني مجدداً في الحفرة، كان مجبراً على رميي من جديد... بقي تيمور بعد انتهاء حفلة القتل الجماعي منكمشا مرتعدا بين الجثث، ثم تسلق بجهد خارج الحفرة بعد نظرة أخيرة إلى أمه وشقيقاته الثلاث واستطاع –بينما انشغلوا– بالانتقال إلى حفرة مجاورة ودفن نفسه بالرمال ريثما يغادرون، وتنتهي الجرافات من دفن الجثث، وبينما هو كذلك استغرق في النوم ثم استيقظ فزعا وبقي يسير في الصحراء ساعات متواصلة من الليل حتى عثرت عليه عائلة من البدو بعد أن هاجمته الكلاب –كانوا قد سمعوا صوت الرصاص– فأخفوه عن العوائل المجاورة لهم ثلاث ليال، ريثما استطاعوا نقله إلى أحد أقاربهم في مدينة السماوة ومعالجته سراً ... وفي نهاية اللقاء سأله مكية: – إن كنت تستطيع الاختيار فماذا تريد أن تفعل بحياتك الآن؟ هل هناك ما ترغب فيه أكثر من شيء آخر؟ – أجل. – ماذا؟ – أن أصبح شخصاً مشهوراً. – مشهوراً بماذا؟ – بالأنفال. – ما الذي تعنيه "مشهوراً بالأنفال"؟ –أريد أن يعلم العالم ما الذي جرى لي[٢٧].... وهذا ما فعله كنعان مكية.. عندما حرص على جمع وثائق إدانة نظام البعث مستشرفا محاكمته يوما ما: "خلال إقامتي في العراق لم أستطع العثور على أية وثيقة تعلن عن بداية حملة

الأنفال، لكن توجد في حوزتي نسخة عن قرار موقّع من صدام حسين، يقدِّم الأساس القانوني لتلك العملية، وقد يكون هذا القرار كافياً إن جرت في مطلق يومٍ من الأيام محاكمة القيادة العليا لحزب البعث، تهمة القيام بجرائم ضد الإنسانية"[٢٨] فبينما كان مكية يتكبّد عناء السفر ومخاطره من أجل الحصول على وثائق لإدانة الجريمة المنظمة على مدى عقود بحق شعب بأكمله وشعوب مجاورة، ويُصدر الكتب، وينشر المقالات، ويعقد الندوات في الجامعات العالمية، كان المثقفون العرب في المقابل يَسِمونَه بالعمالة والتآمر والعداء المبيَّت للعروبة ورمزها الذي لوّح لهم بتحرير فلسطين مدغدغاً الرومانسية العربية الثورية في التعامل مع الوقائع السياسية.

المبحث الثاني

مظاهر الصمت

يمكن تحديد مظاهر الصمت في: طبيعة الثقافة العربية التي انتجت موقف الصمت عن قسوة نظام البعث، ثم الهجمة على "كنعان مكية حينما كشفها كتاب "جهورية الخوف" وسلسلة مقالاته بعدها، وفي الموقف المتحامل من العقل العربي على دول الخليج وخاصة الكويت مما سهَّل أفعال نظام البعث.

فكرة تحرير العراق

ينتظم كتاب "القسوة والصمت" ضمن سلسلة الكتب والمقالات والوثائقيات التي أراد من خلالها "كنعان مكية" إدانة نظام البعث في العراق وكشف ممارساته الإجرامية المنظمة على مدى عقود حكمه، بوصفه مشروعا لتحرير العراق عن طريق إيصال معاناة الشعب العراقي للرأي العام السياسي العربي والعالمي بالنظر للتغطية الإعلامية الآيديولوجية القومية التي صدرها نظام البعث طوال سني حكمه تناغما مع الوعي الثقافي العربي الغارق بالفكر القومي والشعارات النضالية وأدبيات الهوية العربية منذ خمسينيات القرن الماضي، إذ لم يغادر تلك اللحظة التاريخية ولكن ظل يستمد مصطلحاتها وشروطها عن الثورة والمستعمر والتآمر الامبريالي حتى أصبحت الإطار المرجعي للعقل العربي في إنتاج المعرفة فيما أن أدبيات تلك المرحلة لم تعد تصلح أن تكون منظورا للواقع الحديث[٢٩] أو بناء الوعي.

تحدث "كنعان مكية" في مقدمة كتابه بداية عما انتابه من "غشية مرضية" لحظة سماعه خبر اجتياح "صدام حسين" الكويت في آب/ أغسطس ١٩٩٠ –الشعور النابع من حسٍّ وطني حقيقي وليس استعراضيا

آيديولوجيا: موقفي السياسي هذا، هو في العمق رفض التخلّي عن العالم العربي الذي نشأت فيه[٣٠] ومن خشية أن ينجو صدام بفعلته بالنظر لحالة السبات والانقسام التي يعيشها العالم العربي ومن ثمَّ إمكانية أن يصبح فعله استراتيجية سياسية مقبولة عند الأجيال القادمة في المنطقة، فبادر مكية إلى كتابة مقاله –في آب/ أغسطس ذاته– الموسوم بـ "**ينبغي إيقاف صدام**" الذي ينطوي على دعوة العرب لإيقافه من أجل مستقبل المنطقة كلها، مستشرفا احتمالات تترتب عن مواجهة قوى غير عربية له: **وهكذا فإن كل الصيغ القديمة القومية والمعادية للإمبريالية قد تعود للظهور محدثة صدمة عظيمة، ومن أجل مستقبل العالم العربي نفسه، على العربي أن يقاتل العربي فوق رمال السعودية لأجل استرجاع سيادة الكويت واستقلالها، وضد مبدأ العنف في حل المسائل الإنسانية، وهو كل ما تقوم عليه سياسة البعث**[٣١] لكن ما حدث أنه لم تلح في الأفق استجابة عربية جادة بتولي مسؤولية حل الأزمة من دون تدخل قوى خارجية.

بدأ الدور الفعلي لـ"كنعان مكية" في نشوء فكرة تحرير العراق من نظام البعث بداية من تأليف كتابه "**جمهورية الخوف**" الذي انتهى منه عام ١٩٨٦ حتى صدور أولى طبعاته باسم مستعار هو "سمير خليل"، قدّم فيه **قضية قائمة على وجوب النظر إلى نظام البعث العراقي أكثر من كونه مجرد دكتاتورية عادية شبيهة بالأنظمة المماثلة له بالسوء في انحاء العالم الثالث، لأن العراق "تحوَّل إلى دولة توتاليتارية" أكثر شبهاً بالاتحاد السوفيتي تحت حكم ستالين في الثلاثينيات، وبألمانيا الهتلرية، منه بالأردن والسعودية**"[٣٢] فهل يمكن لطرح كهذا أن يجد استجابة وتلق عربي في ثمانينيات القرن المنصرم! الحقبة الذهبية لشعارات "صدام حسين" القومية التي رسخت صورته بوصفه بطلا قوميا؛ لذلك أُهمل الكتاب، وأثير لغط كبير بشأن الاسم المستعار! "**بينما لم يرد سوى كلام ضئيل جدا عما يجري فعلياً داخل العراق!**"[٣٣] لذلك ينتقل مكية في مقدمة كتابه "القسوة والصمت" للحديث عن إهمال الأوساط الثقافية لكتابه "جهورية الخوف" السابق تأليفه لحدث اجتياح الكويت بأربع سنوات تقريبا، وقد حاول فيه كشف دموية نظام البعث ومن ثم خطورة وجوده على المنطقة لكنه في مقابل ذلك اصطدم برفض إصداره الكتاب من دور النشر العربية، إلا من طبعات "مقرصنة" أو مجتزأة مرصوفة –كما شاهدها "كنعان مكية"– إلى جانب مطبوعات تتعلق بموضوعات الجاسوسية عند باعة الكتب في شارع "طلعت حرب" في القاهرة، فلم يكن هناك من يصدق أن الأوضاع سيئة في العراق إلى هذه الدرجة، ويعدُّ مكية ان رفض نشر الكتاب؛ أحد المؤشرات على قصور الوعي العربي عن إدراك "القسوة"، إذ لم يلق الكتاب رواجا إلا بعد

احتلال صدام للكويت، لذلك رأى أنه من ضروب السخرية أن الكتاب أصبح معروفا في الوقت الذي لم يعد ضروريا لتحقيق هدفه، إذ حاول من خلاله لفت الانتباه إلى مسألة العنف البعثي بكثير من الجدية بينما لم يعد أحد بحاجة إلى قراءة ٣٠٠ صفحة ليكتشف ذلك بعد الثاني من آب/ أغسطس ١٩٩٠[٣٤]، وعزوف الوسط الثقافي عن تلقي كتاب بهذه الأهمية الاستراتيجية السياسية المعاصرة بشإن نظام حكم مركزي في المنطقة حينذاك، لا يدعو للأسف فحسب ولكن للخيبة، التي شعر بها مكية على إهمال ما خُطَّ من أجلهم، وأكثر من ذلك رأى "إن الكارثة الحقيقية لم تكن في المشهد الثقافي في مصر أو حال دور النشر المصرية بل كان في الذهنية التي أظهرتها النخبة في العالم العربي خصوصاً أولئك الذين ينتمون إلى الدول الواقعة شرق مصر؛ فالتأييد لصدام حسين في أوساط المثقفين الأكثر انفتاحاً وعلمانية وانغماساً في التجربة الغربية –على الأخص المجموعة الأرفع ثقافة بينهم وهم الفلسطينيون– كان عظيم الاتساع والعمق"[٣٥]

ثم عاود مكية في ٩ آذار ١٩٩١ خلال الانتفاضة العراقية ضد "صدام حسين" لإكمال ما بدأ، فألقى كلمة في ندوة نظمها "مركز دراسات الشرق الأوسط" في "جامعة هارفرد"، وفي محاضرات تلت، طالب فيها القوات المتحالفة أن تنهي الحرب وتستبدل النظام البعثي بحكومة انتقالية، ومما ورد في كلمته: "**إن ضخامة الهزيمة العراقية تحمل في طياتها فرصة تاريخية لبداية جديدة، قد ترسم سياسة المنطقة في أقل من جيل، لكن على القوات المتحالفة قبل ذلك أن تعترف علناً بالثوار العراقيين وتتعاون معهم... وتدخل بغداد... المطلوب قفزة استراتيجية سياسية مساوية لضخامة الحرب نفسها**"[٣٦] ولم يحدث ذلك، لأنه لم يكن يصبُّ في مصلحة دول القرار، إذ لم تكن الولايات المتحدة ملزمة بقطع مسافة نصف الكرة الأرضية مع ٤٣٤ ألف جندي لحل مشاكل الشرق الأوسط، فصدام لم يكن يشكل تهديدا للمواطنين الأميركيين، وقد سبق للروؤساء الاميركيين التعامل معه وجورج بوش على الأخص، وباستطاعتهم، بالتأكيد، تكرار ذلك مجددا[٣٧]، بينما كانت لحظة اختيار الحرب تلك؛ عندما بات لزاماً على الولايات المتحدة تجاه الشعب العراقي أن تنهي الأمور على نحو مختلف، وعلى الرغم من عدم الاستجابة لمطلب مكية إلا إنه يمكن عدّ أصداء كلمته؛ البذرة الأولى أو المسمار الأول الذي دُقَّ في نعش نظام البعث العراقي في ما بعد.

المثقف العربي

أما الموقف العربي سواء من مثقفي الداخل أم الخارج إزاء كلمة "كنعان مكية"، فقد كان هجمة شرسة أخرى واجهها بصبر، خاصة أنه لم يكتف بها، ولكنه **قام بتقديم تقرير وافٍ ضمن فلم وثائقي بعنوان "الطريق إلى الجحيم" عن الإبادة المنظمة لأكثر من مئة ألف كردي مدني بين شباط/ فبراير وأيلول/ ديسمبر من عام ١٩٨٨**، وبعد عرض الوثائقي في بريطانيا قررت صحيفة "القدس العربي" نشر مقالة بعنوان "عرض وتحليل لأفكار كنعان مكية" للكاتب السوري "صبحي حديدي" رداً على كتاب "جمهورية الخوف" وقد نُشرت المقالة – بوصفها فضحاً للأفكار!– ضمن عنوانين فرعيين هما: "كيف أصبح كتاب جمهورية الخوف أسطورة" والآخر "من اليأس ينبثق الجحيم الذهني" وكان هدف الكاتب "أن يُظهِر أن سمير خليل "النجم" الصاعد في المعارضة العراقية الذي دعا القوات المتحالفة إلى إنهاء الحرب وإطاحة الدكتاتور العراقي، هو من اختراع وسائل الإعلام الغربية... وأن ضوؤه سيبهت ما ان تتضح حقيقة انتمائه الطائفي الشيعي"، بهذا البرود وبهذه العقلية العاجزة عن التفكير المنطقي السليم في تشخيص الواقع؛ تلقى المثقفون العرب قضايا القسوة ومجازرها التي قام بها "صدام حسين" بحق العراقيين، إذ دحض "صبحي حديدي" الكتاب كله اختزالا بإشارة عن طائفية مؤلفه، وأنه ألَّف كتابه مدفوعاً بتآمر إمبريالي، بينما لم يتطرق إلى محتوى الكتاب والمناظرات التي تحتوي إدانة لنظام البعث، ولا محتوى الوثائقي.. لذلك يتساءل مكية تعجّباً عن "**أي أمر آخر يمكن الكتابة حوله أكثر من هذا! لم تتضمن مقالة حديدي –التي في حلقتين– كلمة واحدة عن الإدعاءات الواردة في ذلك الفلم الوثائقي، أليس من الأهمية بمكان أن يُشحَن ما لا يقل عن مئة ألف عراقي بريء من الرجال والنساء والأطفال من قراهم ليُقتَلوا في فترة ستة أشهر من سنة ١٩٨٨؟! أوليس من الأهمية بمكان أنه منذ العام ١٩٧٥ قامت الحكومة العراقية بهدم ما لا يقل عن ٣٥٠٠ قرية كردية باسم العروبة؟!**"[٣٨] على وفق هذه التساؤلات يمكننا إدراك طبيعة العقل العربي ونزوعه إلى مناورة الحقيقة تماهياً مع "رمز" العروبة ومقولات الشوفينية القومية بفعل الآيديولوجيا وأسباب أخرى سنقف عندها لاحقاً، أدت إلى اعتلال المواقف العربية عامة.

كنعان مكية وإدوارد سعيد

من اللافت أن يكون لـ"إدوارد سعيد" نصيب كبير في الهجمة على "كنعان مكية"، بوصفه أحد أشهر المثقفين العرب في العالم الغربي، فقد انتقد كتاب "جمهورية الخوف" وعدَّه مشروعا يصبُّ في خدمة "المؤامرة الإمبريالية"! وعلى حد تعبيره؛ إنه يهدف إلى "**إعطاء دفع للنظرية القائلة إن النزاعات والعنف في الشرق الأوسط تعود، بتعبير نسبي، إلى أسباب ما قبل تاريخية، وهي مطبوعة في جينات أولئك الناس (العرب)**"[٣٩]... فمما يثير الدهشة أن يصدر هذا الفهم البعيد عن لب المراد في كتاب "جمهورية الخوف" من "إدوارد سعيد"، فنجده يغضُّ النظر عمَّا ورد فيه من جهد بحثي وثائقي هائل ومبكر للكشف عن طبيعة نظام البعث ومدى خطورته في العراق، لصالح تطبيق أدبيات نظرية الاستشراق، ففي حديثه عن السننية والسلطة أو ما يسمى ."إعادة تشكيل العقائدية" التي تشمل مكوناتها مفاهيم عن الانتصاروية الغربية اليهوسيحية، والتخلف الطبعي الكامن في العالم غير الغربي، يستشهد مصداقاً على ذلك بكتب صدرت في باريس، ولندن، ونيويورك بوصفها تمثّلا لهذه المفاهيم مثل؛ "الشرط الأفريقي" و"المأزق العربي" و"جمهورية الخوف"[٤٠]! وذلك أمر غاية في الخطورة، فمما يبدو ان "إدوارد سعيد" لم يكن مطلعا على الشأن العراقي بما يكفي وذلك مؤسف حتما، والمؤسف أكثر تحامله الواضح على "كنعان مكية"! الذي لا يمكن تبريره إلا بسبب منهج مكية المغاير لأسلوب سعيد، أي المنهج الواقعي الوثائقي خلافا لأدوات النظرية التي اعتمدها سعيد، التي أوقعته في فخ التحيز والتحامل ومن ثمَّ التسرع بقذف الأحكام الجاهزة من دون تمحيص وقراءة معمقة لكتاب مثل "جمهورية الخوف" سعى مكية فيه للكشف عن نظام توتاليتاري قمعي درءاً لأزمة سياسية كبرى تطال المنطقة التي ينتصر "إدوارد سعيد" لهويتها نظريا.

من المؤسف أن يصدر اختزال معاناة الإنسان العربي من مثقف مثل "إدوارد سعيد" من أجل تصورات نظرية عن التآمر الإمبريالي وتواطؤ الكاتب، ومصادرة ذلك كله من أجل نظريته عن فكرة الهوية العربية التي حسبما يبدو أخذت تسحبه باتجاه الفكر القومي، ومن ثمَّ سلبه المنطق السليم في قراءة الوقائع، ففي مقابلة معه عن دور المثقفين خلال حرب الخليج رأى "أن سمير الخليل هو "خنزير غينيا"، وإنه يعمل كـ"مخبر ساذج" لخدمة مصالح صانعي السياسة الأميركية"[٤١]، فضلا عن مقاله "معلومات مضللة عن العراق" الذي نشر في

جريدة الحياة اللندنية، ما الذي جعل "إدوارد سعيد" متأكدا من زيف المعلومات، ليتَّهم "كنعان مكية" بالتضليل ويصف كتاب "جمهورية الخوف" بأنه تضمن وصفا لحكم صدام حسين بقدر كبير من الترويع والإثارة!.

ربما لا غرابة في موقف "إدوارد سعيد" وطبيعة قراءته تلك، فضلاً عن غيره من المثقفين العرب ممن هاجم مكية، إذا استعدنا تاريخ الفكر العربي المعاصر، وأخذنا بالنظر مرجعية خطاباته؛ التي أسهمت في ترجيح النظريات وأقصت الوعي الثقافي عن الواقع، وفي قراءة جديرة بالاهتمام للفكر المعاصر، فرّق أحد الباحثين فيها بين نمطين من الخطاب الثقافي العربي منذ نشوئه، أولهما –وهو السائد– ما أسماه بنمط الثقافة التبشيرية الدعوية، بوصفها تصدِّر المثقف "رمزا" مقدساً، ذلك "المضحي" بالمعرفة من أجل النظرية تسييدا لمشروعه الذي يتخذ مع مرور الوقت شكلاً أو طابعاً آيديولوجياً راسخا في الوعي العربي، المثقف الذي ينحو صوب تحوير معطيات المعرفة لصالح الآيديولوجيا، ويقصد الباحث بمفهوم الآيديولوجيا هنا؛ معناها الشامل، الذي لا يقف عند الشموليات المتعارف عليها مثل اليسار العربي، والإسلام السياسي، والقومانية المثالية فحسب ولكن يشمل من يتخذون "العلمانية" مشروعا آيديولوجيا له طقوسه وشريعته وشموليته وأوتوقراطيته الإقصائية أيضاً، ممن عجز عن استيعاب "العلمانية" بوصفها نظرية متعددة المستويات، تهدف إلى بناء مفهوم الانسان على أسس إعادة ترتيب المفاهيم وفصل منهجي يضمن خلاص الانسان من الأفكار القسرية والإكراهات تعزيزا لفردانيته وكرامته، وتأكيدا على بشرية الجميع، خلاصا من ثقافة "الرمز"، فضلا عن كل مفهوم يحمل نزعة إقصائية...

ولذلك عاش ممثلو هذا النمط الثقافي هواجس التبشير والرومانسية النضالية الثورية، فأخرجوا خطابهم من شرطه التاريخي المؤقت –أي وجوب زواله بزوال المؤثرات وسياق الحقبة– إلى استراتيجية متعالية على التاريخ رافقت مكونات الوعي العربي رسوخاً وأصبحت نمط تفكير، كان من نتائجها؛ استغراقهم في المثالية النضالية، والتعبوية، والتجييش، بدلاً من الرؤية الموضوعية والتدبر المعرفي والتوازن الفكري في معالجة ما لا صلة له بمقولات "الثورة على مستعمر" و"التنظيمات النضالية"، وانخرطوا في حلم "المخلِّص" أو الرمز.. نمط التفكير الذي استولى على عقول أجيال متعاقبة، عاجزة عن التعبير عن ذاتها انبهاراً بـ "الرمز"[٤٢].

وعلى الرغم من الهزائم والإخفاقات التي مرت بها المنطقة العربية إلا أن أصحاب هذا النمط الثقافي لم يراجعوا منطق تفكيرهم الذي غلب عليه طابع اليقينية والأحكام الجاهزة والاحتفاء بشعارات الرمز وشيطنة

المخالف بالرأي، وانهمكوا في تنزيه الذات وعللوا تأخر المجتمعات العربية بتصوراتهم عن التآمر الإمبريالي والعمالة انخراطاً في "نظرية المؤامرة"، **وخلاف ذلك يتحدث الباحث عن النمط الثقافي الآخر أو النمط المعرفي ذو الطابع الليبرالي**؛ بوصفه قائماً على رفض وصفات الآيديولوجيا الجاهزة ومنطق الحتميات، داعيا المثقف لمعالجات علمية لا مرجعية لها سوى ضوابط المنهج التي جرى اختبارها، والتسلح بعُدّة نقدية لمراجعة المعطيات نأياً عن التحيز الى ما تمليه القومية وتهويمات الانتماء "النرجسي"، فلا يتردد نظامهم النقدي الثقافي؛ عن صياغة أسئلة حضارية جادة، حول الثوابت القومية والوطنية والعقائدية وغيرها، بوصفه منظومة ثقافية لا تخشى تحمل مسؤولية مواقفها، ومن ثم لا تلقي باللائمة على أعداء وهميين من متآمرين وخونة[٤٣] وإلى هذا النمط الثقافي ينتمي "كنعان مكية"، لذلك لم تلق قراءته لواقع العراق قبولا عند المثقف العربي المؤدلج بخطاب النضال والرمز والهوية، ومن ثمَّ فإن الكشف عن طبيعة أسس الخطاب الثقافي العربي جعل بمقدورنا تفسير الانفعال الشديد الذي طبع معالجات سعيد على الرغم من انه عاش في ذروة التحولات الثقافية العالمية، فكلمات مثل "**مخبر**" و"**خنزير غينيا**" تنم عن حكم سريع وجاهز نابع من سياق ثقافي وحقبة فكرية أخذت بالانحسار، ولابد للعقل العربي الثقافي أن يتنبه إلى ضرورة مغادرتها بوصفها اغترابا للعقل عن واقعه، لذلك فإن منطق التفكير الذي ينتمي له "إدوارد سعيد" منفصل عن الواقع الفعلي في العراق ونظام حكمه، وهذا يعادل مرارة الدكتاتورية إن لم يفقها، لذلك قال مكية معلقاً على "**كلمات**" سعيد "هناك يأس وفقدان أمل مطموران في هذه الكلمات يفوقان كل ما تحتويه مكتبة كاملة من الكتب المختصة بوحشية الدكتاتوريات الشرق أوسطية والخسائر البشرية الرهيبة الناتجة عن حروبها، فأن تكون سياسياً، وأن ترغب في المطالبة بمعنى ما للعمل السياسي في الوطن العربي، هو أن ترفض أن تصبح سجيناً لهذا النوع من الكلام"[٤٤] بوصفه شرطا أخلاقياً للوعي الثقافي، لأن أزمة الخليج "كانت في الأساس فشلاً أخلاقيا عربيا ذا اتساق تاريخي، يجدر بكل من يهتم بمستقبل هذا الجزء من العالم أن يشعر حياله بالمسؤولية الشخصية؛ لذلك ركز مكية على سلوكين أخلاقيين يتمثلان بـ "الرفض" و"الاعتراف" بوصفهما موقفا ووسيلة لتقليص اللاأخلاقية التاريخية في المنطقة التي مثَّلها مكية بثنائية "القسوة" و"الصمت" لتقليصهما وردّهما عن حياتنا "فهناك شيء ما في مكان ما من المسار العربي الحديث كان مخطئاً على نحو عميق، وصدام حسين لم يفعل سوى تجسيده وتمثيله"[٤٥] وما ينبغي هو الاعتراف بذلك ووصفه أي رفضه، إذ "لا سياسة ولا مستقبل ولا أمل من دون هذين السلوكين؛ الاعتراف والرفض"[٤٦] المسؤولين عن إنتاج الرؤية الواقعية الموضوعية الأخلاقية التي أدى غيابها إلى سعي كثير من الأساتذة الجامعيين ممن كان لهم حضور على موائد

العشاء في الغرب؛ استعراض تكهانتهم في أن مصير العراقيين سيكون أفضل بكثير إن بقي صدام في السلطة انبهارا بشعاراته العروبية، فضلا عن وجود مثقفين كثر أقاموا حلقات نقاش مع مشرعي وراسمي السياسة الأميركية طلبا لعدم التدخل بحوادث القتل الجماعي الممارس ضد العراقيين معللين ذلك ظاهريا بالعواقب الوخيمة التي يمكن أن تحل بالمنطقة جرّاء التدخل، وذلك ما شخَّصه مكية بالإفلاس الأخلاقي لأنها مواقف ليست نابعة عن خلل المنهج في قراءة الوقائع فحسب، ولكن انعدام الضمير في عدم التعاطف مع الضحايا[٤٧]، بينما نجد خلاف هذا الموقف منهم تجاه قضية فلسطين لأنهم أنفسهم المسؤولون عن وضع القضية الفلسطينية في رتبة القداسة أو على حد تعبير مكية رفع "الفلسطنة" إلى الموضع الأسطوري للضحية في الثقافة العربية "فالفلسطينيون لم يعودوا أناساً حقيقيين في المخيلة العربية، لقد تحولوا إلى رموز للمعاناة العربية في أشكالها المتنوعة، فما من عربي آخر بلغت المعاناة به ذلك القدر، وهكذا تكون كل أنواع المعاناة الأخرى –العراقية – الكويتية – الكردية في مرتبة أدنى"[٤٨] أسلوب "الأسطرة" أو صناعة الأسطورة، الأسلوب الذي درج عليه العقل العربي، ذلك ما أثر على وعي الفلسطينيين وظهر في أفعالهم وسلوكاتهم إذ وجدوا خلاصهم في شخص "صدام حسين" حتى إن بعضهم ممن كان يعيش في الكويت تعاون مع النظام العراقي بهدف تحريرهم! الأمر الذي خلف طبقات جديدة من التحامل والعداوات المكبوتة لا يزال كثير من العرب والفلسطينيين خاصة، يدفعون ثمن تنميط "الفلسطيني كمتعاون"[٤٩]، وفي مقارنة أجراها مكية بالوثائق يتضح من خلالها الفارق الكبير بين مجموع القرى الكردية المزالة منذ عام ١٩٦٩ إلى عام ١٩٨٨ الذي بلغ ٣٥٠٠ قرية، عما يماثلها من القرى الفلسطينية البالغ مجموعها ٣٦٩ قرية، مع الأخذ بالنظر تاريخ تأليف الكتاب أي مطلع تسعينيات القرن الماضي "إذن كم حجم الألم الجماعي حين تكون النسبة أكبر عشرات المرات؟!"[٥٠] وبمَ يُعَلَّل اهتمام النخب العربية بمآسي الشعب الفلسطيني بينما يهاجمون من يهتم بمآسي الشعب العراقي ويسمونه بالعمالة والتآمر على العروبة.

طبيعة الثقافة العربية

وقف "كنعان مكية" في كتابه عند طبيعة الثقافة العربية عامة، للكشف عن أسباب الموقف العربي في الحقبة الحرجة التي غيرت خارطة علاقات الدول العربية ومصائرها في ما بعد، أي حادثة احتلال الكويت، الصمت الذي ظل يحرس بطرف خفي صورة الرمز لـ"صدام حسين"، مروراً بطبيعة المثقف العضوي العربي وهشاشة مواقفه، متخذاً من الشاعر "نزار قباني" انموذجا "متماهيا" في لغته الشعرية الفضفاضة إذ لا يعزو مكية

أسباب الصمت موقفاً؛ إلى نمط التفكير الآيديولوجي فحسب، ولكن إلى الموقف العربي المتحامل على دول الخليج ومن ثمَّ انعدام التعاطف؛ لم يقتصر ظهوره على الجانب السياسي ولكنه شمل النخب الثقافية المؤثرة تأسيسا للأفكار والانماط الثقافية في الوعي الجماعي حسبما جاء في مقالاتهم عن الكويتين "المبذرين" أو "الفاسدين" وعن عدم شرعية بلادهم بوصفها اختراعا امبريالياً[٥١]، إن التحامل هي الكلمة الوحيدة المناسبة لوصف شعور كثير من العرب حيال الكويتيين، حتى حين كانت بلادهم تتعرض للغزو والنهب.. وبحسب مكية جذور التحامل قديمة جدا في التقاليد العربية، وربما تعود منابعه بوصفه اسلوباً وخطاباً يمكن أن يبدل أهدافه من غير عناء بحسب تبدل الظروف[٥٢] تمثّله في الشعر العربي وتحديدا "الهجاء"؛ "الغرض الذي يمكن أن يكون سلوكا"[٥٣]، الذي استمر في الخطاب الثقافي العربي الحديث، ويقف مكية –مروراً بـ"المتنبي" في هجائه لـ"كافور الأخشيدي"–عند "نزار قباني"، الذي كتب قبل سنة من احتلال الكويت قصيدته "أبو جهل يشتري فليت ستريت" في هجاء عرب الخليج وأمرائهم، حملت احتقارا ساخرا على وفق طريقة "المتنبي.. والشعر بوصفه الشكل الفني الأكثر تأثيرا ورسوخا عند العرب، وصدارة في التراث الأدبي الكلاسيكي، وما مثل من رابط وحيد ومستمر للعرب بماضيهم –إلى جانب الإسلام– فإن الاستحضارات لهذه التقاليد في الزمن المعاصر سواء كانت أدبية أم دينية أصبحت أساساً راسخاً في تأكيد الهوية العربية، و"نزار قباني" الشاعر المنبري الذي ربما عد هجائياته نوعا من الباريزيا، اعتمد الاستحضارات من خلال صوره ولغته الخاصة القائمة على رفض الواقع تمجيدا واستذكارا للتراث لكنه بحسب مكية وقع ضحية لغته إذ لم يقدم في الواقع غير قذف الشتائم في الريح وإعلان الغضب من دون مبررات أو قرائن ثقافية، فيذم السعوديين من جهة بينما ينشر في صحفهم من جهة أخرى، وهذا مثال بسيط على مشكلة الثقافة العربية التي تخلو من "الرؤية الموضوعية" و"الموقف الحقيقي"، بينما التنميط والتعصب الأعمى حاضران على الدوام، ولا تنفي وقفته الداعمة لشعب الكويت في محنته؛ تأثير خطابه الأدبي في تكريس تيار التعصب والتحامل العربي[٥٤] على الخليجيين، لأن موقف الشاعر ذاتي، أما خطابه الأدبي فتأثيره اجتماعي في الذهن العربي في تكريس التحامل على "الثري البدوي" .

تطرق مكية إلى تفاصيل كثيرة مرتبطة بقضايا الإبادات العراقية التي شكّلت معنى "القسوة" من أجل إعادة إنتاجه في الذهن العربي "إن بلدا وثقافة خبرا تجربة كالأنفال، أو ما عاشه كل العراقيين في تجربة العام ١٩٩١ لا يمكن أن يعودا إطلاقا إلى الحياة كما كانت من قبل، هل باستطاعة تيمور أن يعود مجرد طفل كردي صغير

مرة ثانية؟ تذكارات ما جرى في ١٩٨٨ و١٩٩١ ليست إلا بعضا من الميراث الضخم المرير الذي تركه صدام حسين، هذا الميراث الذي سيعيش معه الشعب العراقي زمنا طويلا بعد ذهابه"[٥٥] وها هو يعيشه الآن.

الخاتمة

يصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. إعادة صياغة المفاهيم بطريقة سردية عن طريق التحويل من صيغة المروي الشفاهي إلى السردي التاريخي والتخييلي على مستوى التداخل والتحبيك، مثل أحداث؛ الاحتلال، والقتل والإبادة والسجون والتعذيب والقمع ضمن مفهوم القسوة بوصفها عنوانا لمرحلة من تاريخ العراق، فضلا عن الموقف السياسي والثقافي العربي من الممارسات الدموية والقمعية ضمن مفهوم الصمت؛ يضع الحقائق المقصية أو المتفرقة في مدونة التاريخ الرسمي.
٢. رصد كنعان مكية الخلل الواضح في طبيعة العقل العربي الذي ظل واقفا عند الحقبة النضالية في منتصف القرن الماضي عن طريق رصده طبيعة التفكير التي تصادر الواقع لصالح الفكر النضالي الذي لم يعد كافيا بأن ينتج منهجا لقراءة الأحداث في ظل المتغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية.
٣. تأثير المدونة الأدبية على الوعي الاجتماعي وطبيعة تصوراته بوصفها خطابا ثقافيا مؤسسا للمفاهيم الجاهزة، إذ تقدمها من دون محاكمة نقدية ضمن قالب فني تخييلي، مكرسا للمظاهر الثقافية عن جماعة من دون أخرى مثل التنميط الثقافي الذي طال شعوب الخليج في الذهن العربي.
٤. لا يخلو المشهد الثقافي العربي من المثقف الليبرالي الذي ينأى في رؤيته بعيدا عن التمايزات والتحيزات الثقافية، قادرا على قراءة الواقع على وفق معطياته.
٥. يحتوي الكتاب على أرشيف وثائقي هائل، من الوثائق الخاصة بإدانة نظام البعث التي واجه المفكر "كنعان مكية" من أجل الحصول عليها مخاطر جمة سواء ما تحصل عليه من قوات البيشمرغا في ما يتعلق بقضية إبادة الأكراد "الأنفال" ومخاطر دخول العراق حينها، أم ما تكبده من عناء وصعوبات الحصول على شهود عيان لأحداث إبادة الشيعة بعد الانتفاضة والتنقل سعيا للقاء بهم.. واعتدادا بهذا الجهد الفكري الثقافي القائم على منهج نقدي وثائقي رصين أوجه دعوتي للباحثين للوقوف عنده تأملا ودراسة.

المصادر

- الثقافة والإمبريالية/ إدوارد سعيد، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع– بيروت (ط٤) ٢٠١٤.
- قاموس الشعرية/ شانتال لابر، بياتريس سولير، تر: لطفي السيد منصور، الرافدين– بغداد (ط١) ٢٠٢١.
- القسوة والصمت/ كنعان مكية، منشورات الجمل–ألمانيا (ط١) ٢٠٠٥.
- لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور، مجموعة محققين، دار المعارف– القاهرة ١٩٨١.
- معجم السرديات/ مجموعة مؤلفين، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر– تونس (ط١) ٢٠١٠.
- المراقبة والمعاقبة– ولادة السجن/ ميشيل فوكو، تر: علي مقلد، مراجعة وتقديم : مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي– بيروت (د.ط) ١٩٩٠.
- المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث/ د.أحمد رحيم كريم الخفاجي، مؤسسة دار الصادق الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع– بابل (ط١) ٢٠٢١.
- نقد نقد العقل العربي– إشكاليات العقل العربي/ جورج طرابيشي، دار الساقي– بيروت ٢٠١٣.
- الوجود والزمان والسرد– فلسفة بول ريكور، تحرير: ديفيد وورد، ترجمة وتقديم: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء (ط١) ١٩٩٩.

المقالات

- إدوارد سعيد ومكية– دعوة لاكتشاف أسس الخطاب/ سرمد الطائي، مقال منشور في مدونة "إيلاف" في ٢٠٠٢/١٢/١٥.

---

١ القسوة والصمت/ كنعان مكية، منشورات الجمل–ألمانيا (ط١) ٢٠٠٥: ١٥ .

٢ نفسه: ١٥ .

٣ ينظر: نفسه: ١٢.

٤ نفسه: ١٢.

٥ نفسه: ١٥.

٦ نفسه: ١٥.

٧ ينظر: نفسه: ١٦.

٨ معجم السرديات/ مجموعة مؤلفين، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر– تونس (ط١) ٢٠١٠: ٩٠.

٩ معجم السرديات/ مجموعة مؤلفين: ٩١ .

١٠ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١٣.

١١ المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث/ د.أحمد رحيم كريم الخفاجي، مؤسسة دار الصادق الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع- بابل (ط١) ٢٠٢١: ٢٧.

١٢ القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١٣.

١٣ ينظر: نفسه: ٢٤ – ٢٥.

١٤ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ٢٥.

١٥ نفسه: ٢٦.

١٦ القسوة والصمت/ كنعان مكية: ٢٦.

١٧ ينظر: نفسه: ٦٩.

١٨ ينظر: الوجود والزمان والسرد- فلسفة بول ريكور، تحرير: ديفيد وورد، ترجمة وتقديم: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء (ط١) ١٩٩٩: ٣١.

١٩ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ٩٦.

٢٠ المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن/ ميشيل فوكو، تر: علي مقلد، مراجعة وتقديم : مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي- بيروت (د.ط) ١٩٩٠: ٨٢.

٢١ القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١٢٤.

٢٢ ينظر: نفسه: ٩٥.

٢٣ لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور، مجموعة محققين، دار المعارف- القاهرة، مج: ٦، باب نفل: ٤٥٠٩.

٢٤ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١٤٤ و ١٤٨-١٤٩.

٢٥ ينظر: نفسه: ١٢٨- ١٣٠.

٢٦ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١٧٧ – ١٩١.

٢٧ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١٩١ – ١٩٧.

٢٨ نفسه: ١٥٧

٢٩ ينظر: نقد نقد العقل العربي- إشكاليات العقل العربي/ جورج طرابيشي، دار الساقي- بيروت ٢٠١٣: ٥-٦ .

٣٠ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١٢.

٣١ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ٥.

٣٢ نفسه: ٩.

٣٣ نفسه: ٩.

٣٤ ينظر: نفسه: ٨.

٣٥ القسوة والصمت/ كنعان مكية: ٨.

٣٦ نفسه: ١٠.

٣٧ ينظر: نفسه: ١٠ .

٣٨ القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١١.

٣٩ نفسه: ١١.

٤٠ ينظر: الثقافة والإمبريالية/ إدوارد سعيد، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع – بيروت (ط٤) ٢٠١٤: ٣٥٩ – ٣٦٠.

٤١ نفسه: ١١.

٤٢ ينظر: إدوارد سعيد ومكية– دعوة لاكتشاف أسس الخطاب/ سرمد الطائي، مقال منشور في مدونة "إيلاف" في ٢٠٠٢/١٢/١٥.

٤٣ ينظر: المقال نفسه.

٤٤ القسوة والصمت/ كنعان مكية: ١١.

٤٥ المصدر نفسه : ١٢.

٤٦ المصدر نفسه: ١٢.

٤٧ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ٩٣.

٤٨ القسوة والصمت/ كنعان مكية: ٤٣.

٤٩ ينظر: نفسه: ٤٣.

٥٠ نفسه: ١٥٩.

٥١ نفسه: ٣٣.

٥٢ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية: ٣٤.

٥٣ قاموس الشعرية/ شانتال لابر، بياتريس سولير، تر: لطفي السيد منصور، الرافدين– بغداد (ط١) ٢٠٢١: ٢٣٦.

٥٤ ينظر: القسوة والصمت/ كنعان مكية : ٣٤– ٣٧.

٥٥ نفسه: ٢٠٠.